تفسير إبن كثير

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا

يقول تعالى مخبرا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة ، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية ، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين ، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد ، ولكن قال الله تعالى : (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) [الأنفال : 33] ، فسلط عليهم هواء فرق شملهم ، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى ، وهم أخلاط من قبائل شتى ، أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم ، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم ، لم ينالوا خيرا لا في الدنيا ، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم ، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، بالعداوة ، وهمهم بقتله ، واستئصال جيشه ، ومن هم بشيء وصدق همه بفعله ، فهو في الحقيقة كفاعله .وقوله : (وكفى الله المؤمنين القتال) أي : لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ،

بل كفى االله وحده ، ونصر عبده ، وأعز جنده; ولهذا قال رسول االله صلى االله عليه وسلم لا إله إلا االله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده " . أخرجاه من حديث أبي هريرة .وفي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد االله بن أبي أوفى قال : دعا رسول االله صلى االله عليه وسلم على الأحزاب فقال : " اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وزلزلهم " . وفي قوله : (وكفى االله المؤمنين القتال) : إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش ، وهكذا وقع بعدها ، لم يغزهم المشركون ، بل غزاهم المسلمون في بلادهم .قال محمد بن إسحاق : لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول االله صلى االله عليه وسلم فيما بلغنا : " لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم " فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان هو يغزوهم بعد ذلك ، حتى فتح االله عليه مكة .وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحاق حديث صحيح ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق قال : سمعت سليمان بن صرد يقول : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم يوم الأحزاب : " الآن نغزوهم ولا يغزونا " .وهكذا رواه البخاري

في صحيحه ، من حديث الثوري وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، به .وقوله تعالى : (وكان االله قويا عزيزا) أي : بحوله وقوته ، ردهم خائبين ، لم ينالوا خيرا ، وأعز االله الإسلام وأهله وصدق وعده ، ونصر رسوله وعبده ، فله الحمد والمنة .